

أزمة التعايش عند زيجمونت باومان

The crisis of coexistence at zygmontbauman

رقية طيايرة¹، زتيلى خديجة²¹ جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله ، rokaiaiaira@gmail.com² جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله ، khadidjazetili@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/20 تاريخ القبول: 2021/12/25 تاريخ النشر: 2022/01/23

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحليل واقع التعايش المشترك في زمن اللائقيين، في ظل عالم استهلاكي كما يصفه البولندي زيجمونت باومان فالتعايش في عصر العولمة والتقنية على حد تعبير باومان يوصف على انه فن للتعايش الصعب كونه يتسم بالانقطاع والتفكك و المفاجأة والتي أصبحت تعد سمات عادية للحياة ، ، فالإنسان في عصر الحداثة السائلة لا يطيق أي شيء يدوم حتى العلاقات.

كلمات مفتاحية: الحداثة السائلة، الحداثة الصلبة، الأزمة، العيش المشترك، الهم العام

Abstract:

This research paper aims to analyze the reality of coexistence in a time of uncertainty, in a consumer world as described by the polish philosopher zygmontbauman. Coexistence in the era of globalization and technology, according to bauman, is an art of difficult coexistence because it is characterized by discontinuity, disintegration and surprise, which have become the features of ordinary life, the man of liquid modernity can't stand anything that lasts, evrn relationships.

Keywords : liquid modernity, solid modernity, crisis, coexistene, public Inspiration.

المؤلف المرسل: طيارة رقية

1. مقدمة:

تعتبر فلسفة التواصل والتعايش مع الآخر موضوعا ملحا في الفلسفة على وجه العموم، وفي الفلسفة الراهنة على وجه الخصوص. ففي الوقت الذي تواجه فيه الإنسانية موجة من العنف بسبب التعصب والجشع في عصر يتسم بانتصار التقنية على الإنسان، تحت لواء الدراسة الموضوعية العلمية وما يستتبعه من تمادي العلوم الانسانية في التنكيل والتمثيل بإنسانية الإنسان وتحويلها إلى مجرد جثة باردة، مهددة الكرامة قابلة للتداول المعرفي الموضوعي سعت الدراسات في الفلسفة الغربية على وجه الخصوص إلى إعادة الاعتبار للحوار والنقاش، من أجل عيش مشترك في ظل الاختلاف واحترام هويات الآخرين وثقافتهم، وقد برز على هذا الخط بشكل خاص الفيلسوف البولندي زيجمونت باومان، الذي حاول أن يعالج واقع العيش المشترك في ظل عالم استهلاكي متوحش يحكمه اللاتقيين وتسيطر عليه الفردانية، فالتعايش في عصر العولمة والتقنية كما يصفه باومان بفن التعايش الصعب كونه يتسم بالانقطاع والمفاجأة والتفكك، و التي تعد السمات العادية للحياة الحديثة السائلة، بل صارت حاجات واقعية لكثير من الناس الذين لم يعد يغذي عقولهم أي شيء سوى التغيرات المفاجئة والمثيرات المتجددة على الدوام، فلم يعد بوسع انسان الحداثة السائلة أن يطبق أي شيء يدوم، لم يعد يعلم كيف يمكنه أن يفر من الملل، فالروابط الإنسانية والعلاقات في عصر الحداثة السائلة أصبحت اشياء تستهلك ، فهي تخضع لمعيار التقييم نفسه الذي تخضع إليه موضوعات الاستهلاك الأخرى، فلم تعد مهمة الشركاء

العمل على استمرار العلاقة ونجاحها بل أصبح الأمر مسألة تتعلق بإشباع الرغبة من منتج جاهز للاستهلاك.

فالتعايش المشترك كما يراه الكثيرون هو بمثابة الحل والامكانية الوحيدة التي تمكننا من ضبط اختلافاتنا وتبايناتنا والتعايش مع هذه التباينات والاختلافات، لأن كل إنسان وكل حضارة هشة في جانب من الجوانب وفي نقطة من نقاطها وبذلك فهي بحاجة لتعايش مع الحضارات الأخرى مهما كانت درجة الاختلاف بينها، كما أن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن الآخرين في غمرة هذه التغيرات وستكون الحضارات اغنى اذا سمح للجميع بالمشاركة ولم تستثنى اية حضارة او اية ثقافة ذلك أنه لا توجد حضارة واحدة بل هناك حضارات متنوعة.

فكيف يمكن أن تتعايش هذه الحضارات في ظل الاختلاف وكيف يمكن لها أن تفيد من هذا الاختلاف في ظل الهيمنات والإيديولوجيات المتصارعة والمتضاربة؟ وماهو البديل الذي جاء به باومان للخروج بحل للزمة التي تعانها الإنسانية في ظل العولمة وسيطرة التقنية والطبقية؟

22. التعايش الصعب في فترة الحداثة الصلبة

تعتبر مرحلة الحداثة الصلبة بالنسبة للبولندي زيغمونت باومان مرحلة اقتناع الاوروبيين بأنهم على ثقافة عالية، فقد كانت أوربا ترى نفسها في قمة الهرم الثقافي والآخرين أقل مرتبة ثقافيا منها، ومن هنا لا يمكن توقع أي اندماج لذا يقول باومان: <<من خلال فكرة الهندسة الاجتماعية اصبحت الحياة أو الكائنات عديمة القيمة هي الهدف على طول الطريق فقد قسمت الحياة الإنسانية الى حياة نافعة ذات قيمة وحياة غير نافعة عديمة القيمة، فالحياة الثانية ان لم تعزل فإنها تباد عن طريق القتل الرحيم>>(باومان ز، الحداثة والهلوكوست، 2014، صفحة 139)

وهذا يتهم باومان الحادثة بأنها سبب العنصرية، فهي من خلقت طلبا على العنصرية، فقد كانت ترى البشر باعتبارهم اعرقا واجناسا مختلفة لا يربط بينها رابط ، وقد افرزت هذه الرؤية عنصرية عصر التحديث والتفاوت حيث يتم الاصرار على أن البشر مختلفون بشكل بيولوجي ، وأن بعضهم قوي متفوق والبعض الآخر ضعيف ومتخلف (المسيحي، دراسات معرفية في الحادثة الغربية، 2006، صفحة 221)، فعنصرية التفاوت هي الايمان بوجود تمايز ثقافي بين الاجناس وبأن هذا التمايز له أساس مادي (بيولوجي- بيئي- وراثي)، ولا يتوقف الأمر عند حد ادراك التمايز وإنما ينطلق دعاة عنصرية التفاوت إلى تأكيد تميز العرق أو المجتمع الذي ينتمون اليه، وأن هذا التميز هو سر تفوقه وهو ما يمنح أعضاء هذا الجنس أو المجتمع حقوقا ومزايا ومكانة لا يمكن أن تمنح لأعضاء الأجناس والمجتمعات الأخرى (المسيحي، دراسات معرفية في الحادثة الغربية، صفحة 222)، فالحل الأمثل للمشكلات التي تفترضها العنصرية هو>> الاستئصال الكامل الصارم للأعراق الوبائية من خلال العزل التام أو التصفية الجسدية>> (باومان ز.، الحادثة والهلوكتست، صفحة 151). ومن هنا فقد أصبحت التفرقة العنصرية هوية قانونية وسياسية فحسب النازية لا يعتبر اليهود اقلية بل هم بنظرهم العرق الآخر ، والذي يجسد المبدأ السلبي المطلق، وسعادة العالم إنما تقوم على استئصالهم، وفي الطرف الآخر نجد الاطروحة التي تعتبر اليهود لا يمتلكون أي ميزات وطنية أو عرقية، فهم يشكلون جماعة تقوم فقط على رأيهم وعلى تقليدهم الديني (ادورنو، جدل التنوير، 2006، صفحة 197).

وقد دعم الإنسان الغربي دعوى المركزية لنفسه بمجموعة من النظريات الخاصة بعالم الأخلاق والهوية والحضارة، تدور في إطار المرجعية المادية وتؤكد تفوقه وهذه النظريات هي ما يطلق عليه عبارة النظرية العنصرية، التي شكلت إطارا شاملا لرؤية الذات والحضارة والسلوك، ولعل ظهور الفكر العنصري كان

أمرا حتميا بعد تراجع الرؤية الدينية في الغرب وتصاعد معدلات العلمنة و
الواحدية، وغياب أي مرجعية نهائية متجاوزة، وهيمنة الحداثة المنفصلة عن
القيمة، ففي عالم المرجعية المادية لابد من البحث عن نقطة مرجعية في المادة
ذاتها لتفسير كل شيء، وقد وجدت الحضارة الغربية العلمانية والحداثة المنفصلة
عن القيمة ظالتها في النظرية العرقية (المسيحي، دراسات معرفية في الحداثة
الغربية، صفحة 222، 223)، ففي منظومة الحداثة حلت الهة العلمانية محل
الاله، واحتكر الوجود الانساني باسم العقل، وقد اصبحت سلطة المجتمع هي
مركز الوجود الانساني فقد شهدت الحضارة الغربية ميلاد اله جديد بديل مثل
العلم، الطبيعة، والتقدم، والدولة، وصاحب ذلك ميلاد ثالث غير مقدس الأرض/
الأمة/ الدولة، وقد رأى باومان أن هذا الثالث أفضى إلى ترسيم الحدود بين
سكان القطر الواحد وقسمهم إلى مواطنين أصليين وغرباء (باومان ز، الحداثة
والهلو كوست، صفحة 26).

وقد كان المفهوم الأشد وقعا والأكثر تأثيرا للحداثة، و أكد بصفة خاصة
على أن التحديث يفرض تحطيم العلاقات الاجتماعية والمشاعر والعادات
والاعتقادات المسماة بالتقليدية (توران، 1998، صفحة 30).

فمن مظاهر الحداثة احتقار الآخر، ذلك أن الذات لم تعد تمتلك أي معنى
و أي وزن إيتيقي، فالنازية أو العرق السامي كانت تعامل اليهود بوصفهم سلعا
وأشياء يجب أن تباد من خلال استغلال المجتمع الغربي والمهوس بأعمال
البستنة للسلطة الاجتماعية للأخلاق، فبعض الضغوط الأخلاقية التي تنشأ من
الحالة الوجودية للإنسان وفق الحقيقة المسماة الوجود مع الآخرين، ربما يمكن
أن تحيلها أو تطمسها عوامل اجتماعية معادلة، أي أن المجتمع بالإضافة إلى
وظيفته الأخلاقية أو على النقيض منها ربما يعمل على الأقل عند الاقتضاء كقوة
تسكت صوت الأخلاق (باومان ز، الحداثة والهلو كوست، صفحة 27)، >>إن جرأة

العرق النبيل الجرأة المجنونة العبثية التي لا يمكن التكهّن بمظاهرها السمة الغير مرئية وغير المعقولة لمشروعاتهم اللامبالاة واحتقار الأمن والجسد والحياة والرفاهية>> (ادورنو، جدل التنوير، صفحة 118).

فالنظرة الدونية للآخر واحتقاره وتهميشه والتمييز بين الأجناس والأعراق وكذلك بين الأديان جعل من التعايش مع هذا الآخر تعايشا صعبا، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد حسب وجهة نظر باومان وكذلك رواد مدرسة فرانكفورت وعلى رأسهم هوركهايمر (Max Horkheimer 1973-1895) وأدورنو (Theodor Adorno 1969-1903) فقد تفننت النازية في إقصاء الآخر المختلف سواء بحرقه أو عزله وتجويعه، ويعود هذا كله حسب باومان إلى غياب وتحييد الدوافع الأخلاقية والسيطرة على التقنية :>> كانت عمليات التحييد والاستبعاد والتهميش من انجازات النظام النازي الذي استحل الجهاز الضخم للصناعة الحديثة والنقل والعلم والبيروقراطية والتكنولوجيا>> (باومان ز.، الحداثة والهلوكوست، صفحة 289). فقد استخدمت النازية لإبادة اليهود العلم والتقنية دون أي حس بالمسؤولية اتجاه هذا الآخر القريب، ويرى باومان أن هذه الإبادة والمحركة الجماعية ذات صلة وثيقة بالهلع من هذا الآخر، فهو يرى أن الهولوكوست نابع عن أغراض شخصية، خارج خط المسؤولية عن الآخر والذي هو جزء أصيل من ذلك المجتمع، والذي من المفترض العيش معه ومن هنا فقد جسد الهولوكوست قمة الخزي الأخلاقي للحداثة الصلبة حسب وجهة نظر باومان.

من هذا المنطلق فإن الهولوكوست قد خلقت نوعا من الاحتقار الاجتماعي حيث أنها بممارستها للتعذيب الجسدي على الآخر قد تسببت في شعور الفرد بالذل والخضوع لإرادة الغير، فعندما يحرم الإنسان من حرية التصرف في جسده فإنه يشعر بالذل والخضوع لإرادة الغير، وتعرضه للتعذيب القاسي وللإغتصاب، فإن مثل هذه التجارب قد تجعله يفقد الثقة بالنفس، ذلك أن ما يميز هذه

الانتهاكات التي تهدد وجود الفرد نفسه وسلامته ليست مجرد ألم مادي أو بدني فقط، وإنما الأدهى من ذلك أنها قد تسبب له ألما بدنية ونفسية تدفعه إثر ذلك إلى الشعور بواقعه الخاص بحيث يصبح عاجزا عن التحكم في نفسه (هونيث ١)، يقول باومان: <<رفض الآخر في الدفاع عن قضيته ورفض الاعتراف بحقه في الإنصات إليه هما اشد ألوان الإذلال>> (باومان ز،، الجب السائل عن هشاشة الروابط الانسانية، 2016، صفحة 202)

ومن هنا فإن الإنسان عندما يحرم من حقه في الدفاع عن نفسه أو من الإنصات إليه فإنه قد فقد حقا من حقوقه الطبيعية، والتي يفترض أن ينالها داخل مجتمعه، وبهذا فإنه أيضا سيفقد الإحساس بالمسؤولية باعتباره عضوا في المجتمع الذي ينتمي إليه، وهذا ما يؤكد فيلسوف الاعتراف أكسل هونيث (Axel Honneth 1949) حيث يرى أنه عندما لا يحصل على هذه الحقوق يعني هذا ضمنا أن المجتمع لا يعترف له بنفس درجة المسؤولية التي يعترف بها لأعضاء المجتمع الآخرين، فالشعور بالانتماء للجماعة يجعل الفرد يشعر بحقوقه وفي الوقت نفسه بالالتزام والمسؤولية، وهذه كلها مشاعر متبادلة بين الأفراد بدرجات متفاوتة لكنها قد تكون دون المستوى المنتظر تحقيقه اجتماعيا وأخلاقيا، فهذا الازدراء الاجتماعي يحرم الفرد من حقوقه المشروعة أخلاقيا واجتماعيا مثل بقية الناس، وهو ما يدفعه إلى الشعور بأن وضعه الاجتماعي لا يماثل الآخرين المشاركين له في التفاعل الاجتماعي فيشعر اثر ذلك بفقدان الاحترام و اللامساواة مع الغير (بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيث، 2010، صفحة 113).

فالفهم الحدائي للاعتراف حسب زيغمونت باومان هو: <<ظهور وإظهار وتأكيد الحقيقة داخلية لأصالة الذات وهي أساس الفردية وخصوصية الفرد، إن الخصوصية هي الأرض التي يمكن من خلالها أن يشن المرء حملاته ويعيد

شنها للحصول على الاعتراف بقراراته واحترامها»<(ليون، 2017، صفحة 49،48)

وبهذا فإن الاعتراف حق طبيعي للإنسان ينبغي له أن يدافع عنه، وانتهاك هذا الحق هو خرق للخصوصية ولأصالة الذات الإنسانية التي حسب باومان هي بمثابة الأرض التي لا ينبغي لأحد أن ينتهك حرمتها، ولا أن يستبيحها وينتهكها فمن حق الفرد هنا أن يدافع عن حقه هذا بشراسة وأن لا يسمح لأحد بانتهاك خصوصيته وذاتيته .

وبهذا فإن الاحتقار الاجتماعي وعدم الاعتراف بالآخر وإبادته وحرمانه من حقوقه يعد كسرا للقيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية، من هذا المنطلق يرى أكسل هونيث أن الحكم على القيمة الاجتماعية لبعض الأفراد بصورة سلبية والتي لا تليق في واقع الأمر بمكانتهم ومراتهم الاجتماعية ولا حتى بقيمهم الأخلاقية يعد مساس بكرامة الغير وتقديرهم الاجتماعي ضمن الأفق الثقافي للمجتمع(هونيث أ.، صفحة 18). علما أن الأفراد في حاجة دائما إلى التقدير و الاعتبار الشخصي والاحترام في الإطار التفاعلي للحياة النفسية والاجتماعية، حتى يشعر هؤلاء الأفراد بالانتماء الفعلي للمجتمع ^(بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت)الذين هم اعضاء كاملي الحقوق فيه.

لكن كما يرى باومان فإن الذهنية التي يحملها العرق السامي كانت تنم عن عدوانية عرقية تسعى إلى السيطرة والهيمنة:>>«تكشف الهولوكوست عن آلية اجتماعية أخرى تنطوي على امكانية اكثر شرا ومن خلالها يتورط في عملية الإبادة عدد أكبر من أفراد لم يواجهوا على الإطلاق أي صعوبة في الاختيار الأخلاقي»<(باومان ز.، الحداثة والهولوكوست، صفحة80).

فالنازية قد وظفت طرقا لا أخلاقية في تهميش الآخر، وذلك من خلال ضرب اليهود ببعضهم فيما أن يختاروا حياتهم وحياة ذويهم، وإما أن يقتلوا من هم من نفس

ديانتهم فالهولوكوست تكشف عن لا اخلاقيات التي كانت تمارس ضد فئات محددة من المجتمع، كما انها تكشف عن بربرية القوة السامية.

فمعادة السامية والعنصرية التي جاءت بها كانت تريد من خلالها كذلك تجاهل الاعتبارات الدينية مدعيتا أن همها وهدفها الرئيسي هو تطهير الأمة والعرق. والوسيلة التي ساعدت على نفي وإقصاء الآخر هي السيطرة على الآلة والتقنية وهذا ما أثبتته إدغار موران (Edgar Morin 8/1921) في قوله <<إن التقنيات التي أنتجها الإنسان مثلها في ذلك مثل الأفكار ترتد ضده وتعرض الأزمنة الحديثة أمامنا تقنية تنقلت من عقلها بتخليصها من الإنسانية المنتجة لها نتصرف مثل سحرة في طور التدريب إضافة إلى ذلك تجلب التقنية نفسها بربريتها الخاصة بربرية الحساب الخالص البارد الجليدي الذي يجهل الوقائع العاطفية المميزة للبشر>> (موران، 2010، صفحة 6).

ومن هنا فإن مشروع الحداثة الغربية بكامله مسؤول عن الاستغلال اللاعقلاني للتقنية ضد شريحة كبيرة من المجتمع، فالعقلانية التي دعت لها حركة التنوير وتطورت عبر قرون هي عقلانية محايدة أخلاقيا، بمعنى أن تلك العقلانية تعمل بلا ضمير وبلا وازع، وهي تستلهم مشروعها من الحياد العلمي الجاف والبارد الذي يرى الإنسان ويتعامل معه وفقا للرؤية المادية الصرفة والتي تفضي إلى محو الذات والهوية الإنسانية.

ومن هنا يرى باومان أن <<انكار الذات ومحو إنسانية الإنسان ومحو هويته من الوجود والتضحية بدوافعه الشخصية من أجل السلطات أو المؤسسات، فالاستعداد لمثل هذا النوع من التطرف بالنفس فضيلة أخلاقية تلغي كافة الأوامر الأخلاقية الأخرى فتتفقد الأوامر هو أعلى درجات الانضباط الأخلاقي وإنكار الذات>> (باومان ز.، الحداثة والهولوكوست، صفحة 77، 78).

فقد كان هناك تجاوب من أبناء المجتمع الألماني مع الأوامر الصادرة إليهم بقتل الآلاف من أبناء الوطن الواحد لهم، وهذا ليس مجرد إقصاء وتهميش للأخر وعدم قبول التعايش معه في نفس الفضاء حسب وجهة نظر باومان بل يتعدى ذلك إلى الهوس بالأننا المتعالية في إنكارها للأخر وتنفيذ أوامر المؤسسة بهذه الطريقة العمياء هو إنكار للذات ولضميرها الأخلاقي فعدم القدرة على الاعتراف بهذا الآخر هو عجز عن التعايش واحترام الثقافات والهويات وإقصاء للأخر من الحياة من خلال تعذيبه الجسدي وكذلك قتل الجانب الروحي فيه بل وغرس روح العدوانية فيه والخوف من اللقاء بالأخر الذي لا يمكن له أن يتقبله هو الآخر بما أن التعايش مع بني جلدته كان صعبا.

فالحداثة قد فهمت الوجود على أنه ينطلق من الأننا الممجد والمعظم لذاته بوصفها أنا شمولية تعيش في العالم متطابقة مع ذاتها ضد الآخر بل مختزلة كل ما هو آخر برده إلى الأننا وتصفية الغيرية المطلقة.

3. الغيرية وثقافة العيش المشترك في عصر الحداثة السائلة

تعد الغيرية منطقاً إنسانياً قوامه العلاقة بين الأننا والأخر من خلال أدوار متباينة ولتحديد الأننا بمختلف أبعاده لابد من وجود الآخر، فمن خلال الدراسة اليقظة لأنماط الثقافة وبالاعتماد على كونية جديدة تأخذ الاختلاف والتنوع مأخذ الجد تساهم الفلسفة في البناء الأنطولوجي لهوية متعددة ولغيرية متسامحة، وتعتبر فلسفة الغيرية والمنطوية تحت لواء فلسفة الأخلاق بمثابة فلسفة أولى عند الفيلسوف الفرنسي امانويل ليفيناس (Levinas Emmanuel 1995-1906) والذي اعتبره باومان أعظم فلاسفة القرن العشرين لأنه أعاد الاعتبار للآخر في الوقت الذي كان ينظر فيه الى الآخرين على أنهم <<منافسون كلهم يضعون الخطط كما يفعل كل المنافسين يحفرون الحفر ويزرعون الفخاخ يتحرون

تعثرنا وسقوطنا» (باومان ز.، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، 2016، صفحة 84).

فمنذ فجر عصر الأنوار والذي حمل شعار إعادة الاعتبار للإنسان اتسعت مساعيه بالقدرة على اكتشاف الآخرين والتعرف عليهم كما هم في غرابتهم سواء أولئك الذين عاشوا في زمن مضى أو أولئك الذين يقطنون في أماكن أخرى إذ لم يعد ينظر إليهم كما هو الأمر في العصور السابقة باعتبارهم تجسيدا للمثل العليا وتبشيرا مبكرا لما هو الإنسان عليه من كمال في الحاضر بيد أن هذا الاعتراف بالتعددية ضمن النوع البشري لا يبقى مجديا إلا في صورة تخلصه من النسبية الراديكالية وبالتالي لا يتخلى الإنسان عن بشريته المشتركة (تودروف، 2007، صفحة 222، 223).

كما أن هناك سمة تنويرية أخرى كانت منتشرة أيضا تتعلق بفكرة الكونية نفسها بما يعني المساواة في الكرامة بين جميع الكائنات البشرية والإقرار بالأسس الكونية للأخلاق وبالتالي بوحدة النوع البشري (تودروف).

وقد انطلق باومان في معالجته لإشكالية التعايش مع الآخر انطلاقا من العلاقات الأسرية وقد كان موقفه نقديا اتجاهاها فقد لاحظ مدى هشاشة الروابط الأسرية وكيف دمرت العلاقات الوجدانية من ديمومة وعفوية وتلقائية، حيث أن التأقيت والمدى القصير الذين تقوم عليهما حسابات المجتمع الاستهلاكي يقومان بتوليد الحجات بشكل مستمر وتحويل كل قديم إلى شيء مستهجن يستحق أن يوضع في النفايات بما في ذلك المشاعر والأجساد والصلات وبذلك تحط من عبارة "تعاهدنا أن لا يفرقنا إلا الموت" والذي كان شعارا للحداثة الصلبة، فحتى في أزمنة الحداثة السائلة أصبح في زمن الاستهلاك يسعى إلى اشباع اللحظة الآنية فهو يشبه السلع الأخرى فعصر الحداثة السائلة هو عصر <<قطع الغيار واستبدال المنتج قبل نهاية فترة الضمان وليس عصر فن اصلاح الأشياء

إنه عصر الفرصة القادمة التي تجعل ما في يدك قابلاً للتخلي عنه فلا ترتبط به بشدة فقد لا يكون شريكك هو الآخر راغباً أو قابلاً لعلاقة طويلة تحرمه بدوره من فرص أفضل>>(باومان ز.، الحب السائل، صفحة 19) .

ومن هنا أصبحت العلاقات الإنسانية بمثابة قطع الغيار التي تقتنى في الأسواق الاستهلاكية وترمى بعد أو حتى قبل انتهاء مدة الصلاحية فقد حلت السوق الاستهلاكية محل بيروقراطية الحداثة الصلبة في مهمة تجريد الأشياء من قيمتها، مهمة التخلص من سموم التكاتف الاجتماعي الذي يعزز الوجود المشترك(باومان ز.، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة)، فالإنسان في ظل الإنتاج والاستهلاك أصبح يتحدى المؤسسة لكي تستجيب لهذا التحدي وأن المديرين وكذلك المستهلكين هم جزء من نفس النظام المغترب.

ولا يقتصر الأمر عند باومان عند هذا الحد بل يتعدى ذلك إلى علاقات الحب والذي هو حسب باومان>>«علاقة مع ذات أخرى مع المجهول مع المستقبل مع الغائب عن العالم فعاطفة الحب تكمن في الازدواجية المنيعية التي يتسم بها البشر أما المحاولات الرامية إلى التغلب على تلك الازدواجية تنذر بموت الحب فلن يعيش الحب بعد موت تلك الازدواجية>> (باومان ز.، الحب السائل، صفحة 42).

فعلاقات الحب تنبني على مجموعة عناصر مختلفة تقام فيما بينها علاقة وينبغي فيها الاستعداد للتضحية من أجل الحفاظ على تماسك هذه العلاقة لكن هذه العلاقة فقدت قيمتها وتفككت مقوماتها وكذلك تهدم بنيان الأسرة كإطار للعلاقات الوجدانية بدءاً من تفكك عمليات التحديث للأسرة الممتدة بنمو المجتمع الصناعي وصعود المدن الحديثة يقول باومان>>«في ظل الهشاشة الجديدة التي ضربت الأبنية الأسرية وفي ظل تناقض العمر المتوقع للأسرة عن العمر الفردي لأي من أعضائها وفي ظل التحول السريع للأنساب إلى حالات اللاتيين

في العصر الحديث السائل ... فالطفل في أيامنا هذه في المقام الأول والأخير مادة استهلاكية» (باومان ز، الحب السائل، صفحة 78، 79)

فقد استخدم العلم والذي هو في نظر باومان بمثابة الإله الجديد في فك الارتباط بين أربع مكونات للأسرة وهي الحب والجنس وكذلك الإنجاب والرعاية ليحول كل منها إلى سلعة استهلاكية يمكن تسويقها فقد اتخذ الحب منعطفاً آخر في ظل تطور التقنية فأصبح الإنسان لا يحب إلا ما يخدم مصلحته الخاصة، فحتى الأسرة التي كانت تعتبر مقدسة فقدت قيمتها بما أن المرء أصبح في إمكانه انجاب أطفال خارج نطاق الأسرة وبما أن هناك شركات توفر فرصة اختيار طفل من كتالوج يضم متبرعين جذابين وتوفير أطفال بحسب الطلب من خلال التدخل في الجينات كما يرغب الزبائن فإنه لم يعد هناك من داعي كذلك حتى للإنجاب وإرهاق الجسدية .

ومن هنا يرى باومان أن الفشل في التواصل، تواصل مع الآخر يقول باومان >>الغيرية هي السر الأكبر والمجهول المطلق والغموض المستغلِق إنها مصدر إزعاج وتحد ذلك لأنها الية اي تسد الطريق وتمنع الدخول فتضل بعيدة المنال وممتنعة الادراك إلى الأبد» (باومان ز، الحب السائل، صفحة 55).

وبما أن فلسفة باومان مرتبطة بتراجيديا تاريخية وهي النازية بما هي صورة كاريكاتورية مؤلمة لفكر شمولي لا يحمل سوى مشاعر الاحتقار للإنسان ما دفع باومان للاهتمام بالآخر المهمش وكذلك أن الفلسفة أو الفكر الغربي يحمل في ثناياه الانسحاب إلى الذات أو الأنا المتعالية أو العرق السامي عن كل ما هو آخر كما لا يفوتنا أن باومان يهودي نهل من التوراة فكرة قداسة الإنسان.

فقد كان التعامل مع الأغيار يتم عل أساس الاحتقار والازدراء، فيرى باومان أن تقيؤ الأغيار ولفظهم بصفتههم غرباء وأجانب لا ينتمون إلى المكان بأي حال من

الأحوال يحظر عليهم الاتصال الجسدي والحوار والتفاعل الاجتماعي وأشكال الاتصال كافة وإنما ينم عن فشل وعجز الحضارة الغربية والتي كانت تسعى إلى إعادة الاعتبار للإنسان يقول باومان >>إن المشروع الحداثي الذي كان يهدف إلى التنوير من خلال تعظيم قيمة الحياة قد حاد عن أصله وانحرفت روحه العلمية بسبب الهولوكوست والذي أرادت من خلاله السيطرة على العالم>> (باومان ز.، الحداثة والهوكوست، صفحة 60، 59).

فقد سعى الفكر الغربي من خلال منظومة الحداثة إلى فك السحر عن العالم أو نزع القداسة عنه لكنها في الوقت نفسه ازاحت الإنسان عن المركز وأنكرت الجوهر الإنساني >>تم ضرب الذات الإنسانية وتفكيكها تماما ولم يبقى من الإنسان شيء>> (المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، 1968، صفحة 227).

ومن هنا فإن ضرب الإنسان لم يقتصر على الأغيار بل تعدى ذلك إلى الذات الإنسانية في حدها.

لكن على الرغم من النظرة التشاؤمية للحداثة في مرحلتها الصلبة والسائلة إلى أن باومان ينظر إلى للتعايش الإنساني من زاوية أخرى ملؤها التفاؤل أو في محاولة منه لبناء نظرة إيجابية لما ينبغي أن يكون عليه مستقبل التعايش مع الآخر يقول باومان >>عملية التوليد الثقافي التي سيحدثها تدفق الوافدين لا محالة، سيصبح مزج الأرواح والهمم الثقافية مصدر للثراء ومحركا للإبداع في الحضارة>> (باومان ز.، الحداثة السائلة، 2016، صفحة 34).

فالآخر لا يشكل عائقا أمام تطور الحضارة ولا خطرا على الثقافة بل على خلاف ذلك يغذي الثقافة، فالمجتمعات الغربية اليوم هي عبارة عن مزيج من الأجناس المختلفة والتي تتعايش ففيما بينها فلم يعد هناك ثقافات عليا وأخرى متدنية وقد أصبح هناك تعايش في ظل الاختلاف دون أن يضطر الإنسان إلى

التخلي عن هويته وليس هناك من داعي لذلك بل أصبح موجود ما يعرف بالتعددية الثقافية ومن هنا ينبغي أن نحكي ثقافة الآخر ونحترمها ونتحمل المسؤولية اتجاهها يقول باومان <<يمكننا أن نقول أن الوظيفة الرئيسية للمجتمع بمؤسساته وأنماطه العالمية هي أن يجعل المسؤولية غير المشروطة في جوهرها واللامحدودة تجاه الآخر مشروطة>> (باومان ز.، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، صفحة 74).

ومن هنا فإن باومان يسعى إلى جعل المسؤولية اتجاه الآخر أمراً مشروطاً وقطعياً وكذلك قانوناً أخلاقياً وهذا ما ذهب إليه ليفيناس فهو يرى أن العلاقة مع الآخر علاقة مؤسسة للأخلاق فاللقاء يتأسس على المسؤولية وليس على الحرية فالآخر مصدر للأخلاق وأصل للمعنى ويرتبط التفكير في الآخر بواقع تاريخي إنساني شاهد على كثير من العنف اتجاه الآخر سواء باعتبار هذا الآخر ثقافة أخرى أو أشخاصاً وكل الذين تم الدفع بهم ومحاصرتهم في زاوية المهمشين وتم اعتبارهم بشراً من الدرجة الثانية يتعلق الأمر في النهاية بالنظر في منزلة الأرملة واليتيم والمعوق والمهاجر والأقليات والمعدمين منزلة ارتبطت بممارسة جميع أشكال الاستعباد والإقصاء والعنف اتجاههم (مبروك، 2015، صفحة 8)

وعليه يشدد باومان على <<تقوية التماسك الاجتماعي وخلق وعي اجتماعي وأهداف للمسؤولية الاجتماعية وإذا كانت الحياة سائلة فلا مجال لمواجهة التفوق حول الذات والانكفاء على الجسد المستهلك للسلعة وللوعي إلا بإحياء المجال العام ومهارات التفاعل مع الآخرين والحوار والنقاش والتفاهم المتبادل والتعامل مع الصراعات الحتمية في كل حياة مشتركة لان الحياة المشتركة هي محك الإنسانية>> (باومان ز.، الحياة السائلة، 2016، صفحة 18).

فإنكار ذات الآخر هو تهديم للبني الاجتماعية وتماسكها لذا ينبغي تعزيز الوعي والحرص على تحقيق أهداف المسؤولية خاصة في ظل الحياة السائلة

الخاضعة للتبدل والتغير والهشاشة في الروابط الإنسانية، فالتماسك الاجتماعي يحقق حياة مشتركة وأهداف الإنسانية النبيلة من خلال الحوار والنقاش والتفاهم والاعتراف بالغير، فالتعايش المشترك هو محك الإنسانية وهنا يعود باومان إلى كانط في فكرة المواطنة إذ يقول <<يرى كانط أنه ينبغي الاتحاد الكامل للأنواع البشرية عبر مواطنة مشتركة، هو المصير الذي اختارته الطبيعة لنا فوحدة البشرية هي الأفق النهائي لتاريخنا الكوني وهكذا تأمرنا الطبيعة بأن نرى حسن الضيافة باعتباره القيمة الأخلاقية الكبرى التي نحتاج إلى الإيمان بها والامتثال إليها>> (باومان ز.، الحب السائل، صفحة 170).

فالتعايش الإنساني يقتضي الامتثال للأوامر الأخلاقية وحسن ضيافة الآخر وحمايته، لأن الانفتاح على الآخر هو الشرط المسبق للإنسانية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فقدرة الذات على استيعاب الآخر وضيافته ضيافة تقتضي حد التضحية بالذات وحرمتها من أجل المسؤولية اتجاه هذا الآخر ومن هنا يدعونا باومان إلى الامتثال إلى حب الجار، <<فالامتثال لوصية حب الجار هو ميلاد الإنسانية وما عدا ذلك فمجرد تفاصيل قائمة أو مستجدة (غير كاملة أبدا) للتعايش الإنساني، ربما يتطلب حب الجار قفزة إيمانية لكن النتيجة هي ميلاد البشرية وهو أيضا الانتقال المقدر من غريزة البقاء إلى الأخلاق فالأخلاق هي شرط البقاء>> (باومان ز.، الحب السائل، صفحة 113). نلمس هنا نوع من الجانب الديني لدى باومان من خلال الدعوة إلى حب الجار وكذلك الوصية الدينية "لا تقتل" كلها مستوحاة من الدين اليهودي، هذه التعاليم التي تقدر الإنسانية، الإنسان وغيره، ويرى كذلك باومان أنه لكي يحب المرء نفسه ينبغي عليه أن يحب غيره وكذلك أننا بحاجة حب الآخر لها فالوصول إلى حب النفس يحتاج إلى حب من حولنا لنا وانتفاء هذا الحب أي الحرمان من كون المرء

موضوعا يستحق الحب يولد كراهية النفس (باومان ز.، الحب السائل، صفحة 120)، أي كراهية الذات لذاتها.

ومن هنا ينبغي إعادة الاعتبار للروابط الإنسانية التراحمية يقول باومان <<الروابط الإنسانية مثل قطع غيار المحركات، فالروابط الإنسانية لا تأتي جاهزة إنها تتعفن وتفسد بسرعة إذا ما ظلت مغلقة بإحكام وليس من اليسير استبدالها إذا ما انعدمت فائدتها>> (باومان ز.، الحداثة السائلة، صفحة 234). وهنا يدعو باومان للانفتاح على الآخر والتعايش في ظل الاختلاف لأن العلاقات الإنسانية إذا ما تفوقعت على ذاتها فإنها تذبل أو تنصهر في غيرها فلا تحافظ على كيانها ولا تستطيع الاستمرار وتصبح من غير فائدة وهنا ستتحول إلى قطع غيار يمكن للآخر أن يستبدلها إذا ما وجد أنها عديمة المعنى، فالعلاقات والروابط الإنسانية تظل حية مادامت محافظة على كيانها وقادرة على التعايش في ظل الاختلاف واحترام الآخر وتحمل المسؤولية اتجاهه وحمايته وأن تنتهي حرية الأنا متى بدأت حيرة هذا الآخر.

4. العولمة وثقافة العيش المشترك:

العولمة هي أن يتخذ شيء ما بعدا عالميا وكوكبيا، لكن عندما نبحث عن مصطلح العولمة المتعارف عليه والذي يستخدمه الباحثون في مجالات متعددة مثل السياسة والاقتصاد والإعلام والثقافة، نجد أن المعنى يخضع للمعايير الإنسانية والأخلاقية ففي الناحية الاقتصادية نجد أنها تعني <<ظاهرة إتساع مجالات الإنتاج والتجارة والمبادلات لتشمل الأسواق العالمية بأجمعها>> (الدواي، في الثقافة والخطاب، 2013، صفحة 160) وهذا يعنئان تلغى كل الحواجز في ميدان التجارة والسوق وتوفير التبادل الحر وحرية الانتقال وتقليص الحدود بين الدول والسماح بتدفق السلع والمنتجات من خلال إلغاء

الحواجز الجمركية، فمن خلال العولمة تصبح شعوب العالم متصلة ببعضها البعض دون الاعتماد على مفاهيم الهوية والخصوصية في كل أوجه حياتها. أما على المستوى الثقافي فإن واقع العولمة يتعين قبل كل شيء في الكفاءة والسرعة الهائلتين في مجال المعلومات والإعلام والاتصالات والتواصل وانتقال المعلومات والصور، وهما يحققان بفضل استخدام عدد ضخم من الأقمار الصناعية المتطورة ومحركات الإنترنت القوية وشبكات ومحطات فضائية إذاعية وتلفزيونية واسعة الانتشار تبتث على مدار اليوم صور الحداثة الجديدة ومشاهد التقدم و الرفاهية والازدهار الاقتصادي التي يبدو أن الدول المنضوية تحت لواء الحضارة الغربية الظافرة تنعم بها، كما يتجلى ذلك أيضا في باقات كثيرة من صور الإشهار الجذابة المبنوثة عبر شاشات مئات الملايين من أجهزة التلفزيون وشبكات الانترنت إلى حد أنها غدت تخترق جميع الحدود المعروفة وتقتحم كل بيت على وجه الأرض وتترك تأثيراتها في الكبير والصغير، وقدرتها على تحطيم الحواجز القائمة على خطوط المواجهات الثقافية والعقائدية والسياسية (الدواي، في الثقافة والخطاب، صفحة 160، 16).

ويرى باومان أنه مهما كان الذي تعنيه العولمة فإنها >>تعني أننا جميعا يعتمد بعضنا على بعض لم تعد المسافة تعني الكثير الآن>> (باومان ز، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، صفحة 102) فبما أن العولمة قد ألغت جميع الحواجز والمسافات ومن هنا فإن العولمة هي مرحلة جديدة من مراحل تطور الحداثة تتكاتف فيها العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي، حيث يحدث تلاحم غير قابل للفصل بين الداخل والخارج ويتم فيها الربط بين المحلي والعالمي بروابط اقتصادية وثقافية وسياسية وإنسانية (عبدالله، 1999، صفحة 59).

وينظر باومان إلى العولمة من جانبها السلبي مع أنه بإمكانها أن تكون إيجابية إلا أن العولمة حادت عن المسار الذي رسمته لنفسها لأنها قضت على الكثير من

الهويات و أجبرت المجتمعات على الخضوع لها يقول باومان >>في كوكب تحكمه العولمة ويتألف من مجتمعات مفتوحة بالإكراه فلا سبيل إلى تحقيق الأمن داخل بلد واحد وفي مجموعة منتقاة من البلدان ولا سبيل لتحقيق الأمن في الانفصال عن بقية العالم>> (باومان ز.، الخوف السائل، 2017، صفحة 136). وهذا يعني أن العولمة قد تسببت في انعدام الأمن الداخلي أو المحلي وحتى الأمن الخارجي، فمن ناحية الدخول ضمن العولمة هو خطر على التعايش والخروج منها أسوء من ذلك، فالانفصال أو العزلة يسبب عدم الأمن والدخول ضمنها كذلك، وبهذا فإن العولمة قد جعلت العالم اليوم يعيش حالة من الخوف والشعور بانعدام السلام والعدالة يقول باومان >>مع العولمة لا يمكن تحقيق العدالة باعتبارها الشرط الأساسي للسلام الدائم فالانفتاح الفاسد للمجتمعات بفعل العولمة السلبية هو نفسه السبب الرئيس للظلم ومن ثم بطريقة غير مباشرة السبب الرئيس للصراع والعنف>> (باومان ز.، الخوف السائل، صفحة 136)، يقصد هنا باومان بالانفتاح الفاسد الانصهار داخل ثقافة واحدة وهي الثقافة الأقوى والتي لم تكن عادلة فهي تسعى إلى جعل الكل تحت سيطرتها ومحو هوية الآخر، كما أن العولمة تتسبب في الصراع من أجل البقاء وهو ما يولد العنف بين الحضارات والسعي إلى الحفاظ على الصدارة في الحضارة من خلال فرض هيمنة السوق والثقافة وبهذا ينمحي السلام الدائم ويتولد الخوف من الآخر المنافس، ما يساهم في عملية الانتاج المتسارع في كل المجالات سواء الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية من أجل الحفاظ على الحضارة وكأنه صراع من أجل البقاء والبقاء يكون فيها للأقوى.

ومن هنا فإن التطور والتقدم التكنولوجي من بين أهم العوامل الدافعة والمصاحبة للعولمة من هنا نجد أن اقتران العولمة دائما بدرجة أو أخرى من القهر الثقافي ذلك أن التقدم التكنولوجي الذي يدفع الإنسان دفعا إلى مزيد من العولمة

ينطوي بطبيعته على تهديد للهوية الثقافية، إن هذا التقدم التكنولوجي الذي يظنه الكثيرون شيئاً محايداً تماماً إزاء الهوية الثقافية يحمل دائماً خطراً يهدد هذه الهوية يقول باومان >>إننا نواجه ضربة للأخلاقيات ذلك لأن التكنولوجيا تملأ هذه الفجوات التي تتركها السياسة والأخلاق العامة>> (باومان ز، العيش مع اللابديل، 2018، صفحة 35)، فقد أخضعت التكنولوجيا الإنسان للقهر وهي تهدد هويته وأدميته، ويرى باومان أنه في عصر وسائل الاتصال الاجتماعي لم يقضي فقط على هوية الفرد أو ما يسمى بالتعايش في ظل الاختلاف بل إنه تم اختراق حتى خصوصياته >>موت الخصوصية في عالم الإنترنت فالإنسان يقود خصوصياته إلى المذبح بإرادته في عالم الإنترنت لأن كل ما هو خاص يمكن أن يجري فيما هو عام ويمكن أن يكون متاحاً للاستهلاك العام وأن يبقى متاحاً على الدوام، إن تآكل الخصوصية هو نتاج الخدمات المنتشرة للتواصل الاجتماعي>> (باومان ز، المراقبة السائلة، صفحة 43، 44). ففي عصر الفيس بوك تتحول الأمم إلى وحدات متجاوزة للأقطار بلغة وثقافة مشتركيتين ومن هنا فإن الفرد عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي هو من يقضي على هويته وخصوصياته بل وأن خصوصياته تصبح عرضة للاستهلاك في الفضاء العام.

وقد ركز باومان على مسألة الهوية، فالهوية والمعاني التي تحملها في الحداثة هي مشاريع تتضمن قوة التحمل والصلابة، أما الهويات في فترة ما بعد الحداثة قد تم اعتمادها والتخلص منها كما يتم تغيير اللباس أي أننا في عالم جديد من عدم اليقين والسريعة والسطحية التي تعني أن الناس يتجنبون بشكل متزايد التثبيت والحفاظ على الانفتاح من حيث الهوية ويرى باومان أن للهوية أربعة عناصر أساسية -هوية ما بعد العولمة-، الغربية، التشرذم، السائح، واللاعب، جميعها تشير إلى هذا العالم المائع كما يسميه باومان (العجيلي، النظريات النقدية للعولمة، 2016، صفحة 324)

وعليه فإن >>الحركية والهوية هما وجهها الحداثي، اليوم يتم العمل على تأكيد الهوية بقدر ما يتم العمل على إدارة الحركية وهذه الظاهرة هي نفسها بالنسبة إلى الاتصالات فبقدر ما يوجد هناك من اتصال وتبادل وتفاعل وبالتالي حركية، بقدر ما تبرز بالتزامن الحاجة إلى الهوية وما هو صحيح على الصعيد الفردي صحيح أيضا على مستوى المجموعة والمجتمع>> (ولتون، 2005، صفحة 23) ومن هنا فإن القلق المتصل بهؤلاء الذين يفكرون بالهوية اليوم هو أن الهوية في الأزمنة المعاصرة تتركز على نحو متزايد حول الذات المستهلك فقد أصبح التسوق وأنماط الحياة والاستهلاك الظاهر مصدرا جديدا لتعريف الذات والمشكلة هنا تتمثل في الضحالة والزيف والانسياق والانحلال والابتعاد عن التسييس الذي يعتقد أنه محصور، ويؤكد باومان على أن المجتمع لم يعد قادرا على استجواب أعضائه في المقام الأول بصفته منتجين ولكن قبل كل شيء بصفته مستهلكين أكثر من ذلك هو أن العمل مفتاح الهوية والاعتراف الاجتماعي والمجتمع والتضامن (العجيلي، النظريات النقدية للعولمة، صفحة 325، 324).

ومن هنا فإن سياسة الاختلاف تنعدم في ظل القضاء على الهويات ويصف باومان سياسة الاختلاف بالقوة لأنها تقدر الاختلاف في نفسه ولنفسه لأن كل ثقافة لها الحق في تشكيل هويتها وتغذية فهمها لما هو عقلائي وإنساني والمبدأ الأساسي للاختلاف هو التسامح (باومان ز، الشر السائل، صفحة 180).

ويرى باومان أن العالم الغربي مع أنه المهيمن إلا أنه يعيش حالة من اللامن فعلى الرغم من أن العالم المتقدم هو المسيطر إلا أنه فقد السيطرة على العولمة، ورغم ادعائه بالترحيب بسياسة الاختلاف إلا أنه متفوق على ذاته وهذا ما يسعى بالتعددية الانيقة يقول باومان >>فالتعددية الانيقة تتسم بالعلاقات السطحية أو التجميلية لموضوعات اهتمامها ورعايتها. وأنصار التعددية الأنيقة يعجبون بعبادات غيرهم من الثقافات أو يقدرونها أو يستمتعون بها أو يتعاطفون معها أو

على الأقل يعترفون بشرعيتها، ولكنهم يعجزون دوماً عن قبول غيرهم من الثقافات» (باومان ز.)، الشر السائل، صفحة 180) وبهذا نجد أن احترام الثقافات من هذا المنظور هو ادعاء سطحي يسحب هذا الاحترام إذا ما كانت الثقافة الثانية أو الأخرى غير عقلانية أو أنها لا تخدم المصلحة الخاصة.

وعدم احترام الثقافات يسبب الشعور بعدم الأمان والخوف من فقدان المبادئ والقيم والعادات وهذا كله بسبب العولمة التي سببت تراجع قي الأخلاق يقول باومان >>«ما أفضع شعورنا بعدم الأمان في كوكب يخضع للعولمة السلبية وما أفضع تأخرنا الأخلاقي» (باومان ز.)، الخوف السائل، صفحة 141) وبهذا فإن باومان ينتقد سياسة العولمة لأنها خلقت نوع من الخوف وعدم الأمان، كما أن المجتمع الحديث السائل بدخوله العولمة قد أعلن نهاية المجتمع الأخلاقي الفاضل، فإذا كانت الحياة السائلة تعزز الاهتمام بالإصلاح الاجتماعي فهو يستهدف في الغالب الأعم دفع المجتمع إلى التخلي التدريجي عن كل قيمه الخاصة (باومان ز.)، الحياة السائلة

كما أن العولمة قد قسمت العالم إلى عالمين عالم الأغنياء وعالم الفقراء >>«العولمة تشطر المجتمع العالمي الصاعد إذن فالعولمة والأمكنة ليستا جانبيين وليستا وجهين لشيء واحد فحسب بل هما في الوقت نفسه قوتان دافعتان وشكلان تعبيريان عن تقطيب وسترجة جديدين لسكان العالم الأغنياء و فقراء مؤكنين» (بيك أ.، 2012، صفحة 99) فالعولمة كما أنها تؤدي إلى انشقاق في نتائجها فإنها تؤدي أيضاً إلى التوحد، فتوحيد الكوكب يتوقف إلى حد بعيد على البلوغ العالمي للتابعيات التي تؤصل التقسيمات الاجتماعية الجديدة أو التدرج الاجتماعي الجديد (جين. 2014)، وفي رأي باومان بسبب العولمة التي تقسم سكان العالم إلى أغنياء معولمين يتغلبون على المكان ولا وقت لهم وفقراء معولمين (أمكنة) مقيدون إلى المكان عليهم أن يقاتلوا الوقت الذي لا يعرفون ماذا يفعلون

به ومن هنا فإنه لا يوجد في المستقبل بين هؤلاء الكاسبين من العولمة والخاسرين منها فيما يقول باومان وحدة ولا تبعية والنتيجة البارزة هي سقوط جدلية السيد والعبد وأكثر من ذلك تتمزق الرابطة التي لا تجعل التضامن ضروريا فقط وإنما نجعله ممكنا أيضا وعلاقة التبعية أو على الأقل علاقة الرأفة التي كانت تعد حتى الآن أساسا لأشكال التفاوتات تسقط في لا مكان ما جديد بالمجتمع العالمي وجملة المحلية المعولمة من هذا الجانب تعبير مجازي ملطف أيضا إنها تخدعنا عن أن هناك أوضاعا تخلق وراء الوحدة والتبعية لا نعرف لها اسما ولا عنها جوابا(بيك ا.، صفحة 103، 102).

ويرى باومان أن اصطدام الطابع المكتسب للسمات الثقافية المكتسبة في عملية التناقض بالطبيعة الموروثة للعضوية القومية المختبئة وراء معادلة الثقافة المشتركة ، وقد أدى تشابهها الثقافي إلى جعل الغرباء المتحولين ثقافيا مختلفين عن غيرهم بل وأكثر من ذلك أنه لم يعد بإمكان الدولة في ظل العولمة السيطرة على اقتصادياتها>>إن الدولة صارت خادمة للاقتصاد العولمي فلم تعد الدولة سيدة أرضها>>(باومان ز.، الخوف السائل، صفحة 180) ومع تحرير قوى السوق واستسلام الدولة إلى العولمة السلبية الأحادية "عولمة رأس المال، الجريمة، الإرهاب وعولمة المؤسسات السياسية والقضائية" لابد أن يدفع ثمنه كل يوم وبالعملة الصعبة المتمثلة في الاضطراب والدمار الاجتماعي من هشاشة غير مسبقة للروابط الإنسانية وزوال سريع للولاءات الجمعية وتشردم أشكال الالتزام والتكافل والتضامن وإمكانية إلغائها (باومان ز.، الخوف السائل، صفحة 181)، يقول باومان>>غياب الأمن والاستقرار وهذا راجع إلى ما أخذته العولمة والتي تعد قد حققت نجاحا في زيادة عنفوان العدواة والاقتتال بين الجماعات البشرية يفوق نجاحها في تشجيع الأمن والتعايش السلمي بين المجتمعات فقد ألغت مفهوم الدولة... فشركات المتعددة الجنسيات ترى العالم المثالي عالما بلا

دول أو على الأقل بدول أصغر» (باومان ز.، الحداثة السائلة، صفحة 267)، فقد تراجع دور الدولة في ظل العولمة وتنامي معها العنف والإرهاب وأصبح العالم يعيش حالة من الخوف وعدم الاستقرار والأمن وبهذا أصبح مرة أخرى يخشى الآخر ويفرض التعايش معه لأنه يشكل العدو أو الإرهاب وبهذا لم يعد هناك مفهوم السلام وبهذا فقد أصبحت العولمة تتحكم في كل مجريات الحياة بما في ذلك العلاقات حتى علاقة الدولة بمواطنيها ولذلك يرى باومان أن «هناك عناصر من الأمة يمكن التحكم فيها عبر عولمة الاقتصاد من أبرزها اللغة الخلفية العرقية» (باومان ز.، الحداثة السائلة، صفحة 268) وهذا يعني أنه إذا سيطرت العولمة على اللغة والخلفية العرقية فإنها ستتحكم في الدولة واقتصادها فباومان يرى أنه مادامت عولمة الاقتصاد تسير بسرعة فائقة فإن شراء الحكومات في موازنة الحسابات المالية والموارد التي تقع تحت سيطرتها يكفي لجعل الحكومة تستسلم إلى ما لا بد منه بل وتسعى جاهدة للتعاون مع العولمين (باومان ز.، الحداثة السائلة، صفحة 268).

وبهذا فإن باومان يرى أن العولمة مدمرة للعلاقات الاجتماعية والدولية كما أنها حطمت سبل التعايش المشترك في ظل الاختلاف بل وأنها طمست الهويات وقضت على الثقافات وكذلك على دور الدولة في حماية مواطنيها وألغت كل مهام الدولة.

نجد أن نظرة باومان لثقافة التعايش المشترك هي نظرة تشاؤمية على الغالب وقد وصف التعايش مع الآخر بفن التعايش الصعب ورغم أن الطرح الذي أتى به يلامس الواقع الذي عاش فيه إلا أنه لا ينبغي إسقاط الواقع الشخصي على العالم كله، كما أن باومان لم يأتي بالبديل بل شخص الحالة ولم يعطي لها حلا.

في الأخير نستطيع القول أنه لا يمكن أن يعيش الفرد منعزلاً عن غيره، فعلاقة الأنا بالأخر تأسس داخل فضاء اجتماعي وسياسي يعيش فيه الكثير من الأفراد ومزيج من الثقافات والتعددية البشرية، فالكثرة والتعدد تقتضي نظاماً اجتماعياً ومجالاً سياسياً يتعايشون ويتواصلون داخله ومن هنا فإن ثقافة العيش المشترك تستلزم للحوار بين الثقافات أخلاقيات يتوجب توفرها ومراعاتها في جميع المبادرات الرامية إلى إنعاشه وتفعيله وجعله مثمراً فلكي يرسى على أسس سليمة ينبغي أن يقوم على مبادئ أساسية لعل أهمها التسامح والاعتراف بحق الاختلاف الثقافي وممارسة النقد والنقد الذاتي.

4. خاتمة:

يسعى باومان إلى إعادة الاعتبار للروابط الإنسانية، فالحضارات المتوقعة والمنغلقة على ذاتها معرضة للموت واهتمام باومان بالروابط الإنسانية نابع من رؤيته لها على أنها هشة وسائلة يسودها التأقيت والمدى القصير فهي مثل قطع الغيار تستبدل متى انتهت فائدتها، فالعلاقات الإنسانية في عالم الحداثة السائلة هي علاقات استهلاكية يرمى بها في سلة المهملات متى انتهت مدة صلاحيتها .

يتحدث باومان عن التعايش المشترك في ظل العولمة ويرى أنها ألغت كل الحواجز والمسافات إلا أنها غيّبت الأمن والاستقرار داخل المكان أو الحدود السياسية للدولة، كما أنها ألغت الخصوصية الفردية وقضت على أخلاقيات العيش المشترك وكذلك على الهويات، كما أن الدولة في حد ذاتها قد أصبحت خادمة للاقتصاد العولمي فلم تعد تملك سلطة على حدودها وأرضها فمع تحرير قوى السوق واستسلام الدولة للعولمة حدث تصدع داخلها واضطربت العلاقات الاجتماعية وتفككت الروابط الإنسانية وتشرذمت كل أشكال الالتزامات والتكافل والتضامن الاجتماعية .

5. قائمة المراجع:

1. ادغار موران. (2010). *ثقافة اوروبا وبربريتها*. (محمد الهلالي، المترجمون) المغرب، دارتوبقال.
2. اكسل هونيث. (بلا تاريخ). *التشيؤ دراسة في نظرية الاعتراف*. (كمال بومير، المترجمون) الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.
3. الان توران. (1998). *نقد الحداثة*. (انور مغيث، المترجمون) المشروع القومي للترجمة المجلس الاعلى للثقافة.
4. أولريش بيك. (2012). *ماهي العولمة*. (ابو العيد دودو، المترجمون) بيروت: منشورات الجمل.
5. تزييفان تودروف. (2007). *روح الانوار*. (حافظ قويعة، المترجمون) تونس: دار محمد علي للنشر.
6. دومينيك ولتون. (2005). *العولمة البعد الآخر*. (جورج شرف، المترجمون) بيروت: الدار اللبنانية للنشر الجامعي
7. زيجمونت باومان ، دافيد ليون. (2017). *المراقبة السائلة*. (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.
8. زيجمونت باومان. (2014). *الحداثة والهلوكوست*. (حجاج ابو جبر، دينا رمضان، المترجمون) القاهرة، مدارات للابحاث والنشر.
9. زيجمونت باومان. (2016). *الاخلاق في عصر الحداثة السائلة*. (سعد البازغي وبثينة الابراهيمى، المترجمون) ابو ظبي: هيئة ابو ظبي للثقافة والسياحة الكلمة.
10. زيجمونت باومان. (2016). *الجب السائل عن هشاشة الروابط الانسانية*. (حجاج ابو جبير، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية ببلبحاث والنشر.
11. زيجمونت باومان. (2016). *الحداثة السائلة*. (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للابحاث والنشر.

12. زيغمونت باومان. (2016). *الحياة السائلة*. (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
13. زيغمونت باومان. (2017). *الخوف السائل*. (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
14. زيغمونت باومان. (2018). *الشر السائل*. (حجاج ابو جبر، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
15. سلى الحاج مبروك. (2015). *اتيقا المسؤولية اتحاه الآخر عند امانويل ليفناس أو الأنا حارس الآخر*. المغرب: مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
16. شمسي العجيلي. (2016). *النظريات النقدية للعوامة*. (هيثم غلي الناهي، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
17. عبد الخالق عبد الله. (1999). *العوامة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها*. الكويت، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون.
18. عبد الرزاق الدواي. (2013). *في الثقافة والخطاب*. بيروت، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية.
19. عبد الوهاب المسيري. (1968). *العلمانية الجذئية والعلمانية الشاملة*. القاهرة: دار الشروق.
20. عبد الوهاب المسيري. (2006). *دراسات معرفية في الحداثة الغربية*. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
21. كمال بومير. (2010). *النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر الى اكسل هونيث*. الجزائر: منشورات الاختلاف.
22. نيكولاس جين. (2014). *مستقبل النظرية الاجتماعية*. (عبد الحميد رسلان، المترجمون) القاهرة: المركز القومي لترجمة.

طيارة رقية ، خديجة زيتلي

23. هوركهايمر، ادورنو. (2006). *جدل التنوير*. (جورج كتوره، المترجمون)

بيروت، دارالكتاب الجديدة المتحدة.